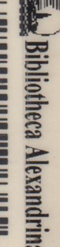
ناصر الهلابى

ويصدأ ماء النهر



قصص قصيرة





ويصدأ ماء النهر

مجموعة قصصية

ناصر الهلابى

لوحة الغلاف : محمد الطلاوى

اللوحات الداخلية : إيمان الشريف

الطبعة العربية الأولى : ١٩٩٩

رقم الإيداع ٩٩/١٧٢٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-182-5



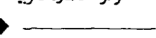
- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .

- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة

- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .

- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .

- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .



رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الالكترونى
مركز الحضارة العربية
تنفيذ : هويدا محمود

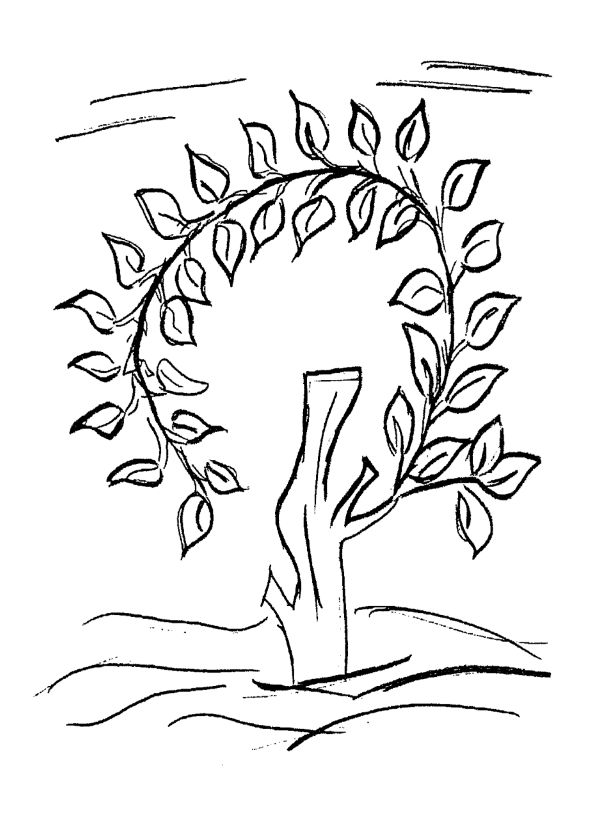
٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات ت : ٣٤٤٨٣٦٨

ناصر الهلابى

ويصدأ ماء النهر

مجموعة قصصية





ويصدأ ماء النهر

(١)

فى هذه الحيـاة ، تحس أنك وحيد تعـيش فيها ، أيهـا الإنسان ... من أى طين خلقت ، أى سـمـاء قـذفـتك ، وهـل أنت من كـوكـب غـيـر كـوكب الأرض، وأى نجم كان يسخر وأنت تهبط إلى الأرض ...

ومع مجىء الظلام ، وعلى إحدى جنبات المدينة الواسـعة بمبانيها ، عند أحد مداخلهـا الرئيسية ، تنحـرف عربة ليموزين وتأخذ الطريـق جنباً لتقف على رصيف ترابى ، يخرج منها سائقها الذى يُدعى "راكان" ، ملامح عربية توحى باليقـظة ، بدوى أصيل امتـزجت هيئتـه بالمدنية ، يتـرجل السائق من العربة ويتـحرك مسرعـاً ليختبـئ بين الحشائش والأحراش ، ثم يخـرج ثانية وهو يرى بعين ويلعن ويسب ، واقـفاً عـلى تل بارز لفتـرة من الزمن يرقب دخان الطائرات التى اخترقت الأجواء فى سـرعة جنونية ، ثم اختفت وراء السـحاب ، السـائق ينفض عن ثيـابه التراب والحشائش العـالقة ، ويعـود أدراجه ، وينحشر فى عربته ، ثـم ينطلق إلى عمق المدينة .

(٢)

صفـارات الإنذار تتوقف الآن عن زعـيقـها الذى أغـرق الآذان بصوت رنين صدئ كئـيب ،والناس يعودون إلى أماكنهم وأعـمالهم ، والمدينة تعج بالحركة ثانية ، كأن شيـئاً لم يكن ، الناس ألفوا العيش فى ظل هذا القصف المتـوالى ، لايـعـبـأون بما يدور من حـولـهم ، يقـضـون يومـهم فى رتابة ، والقصف ينهمر عليهم كل مساء .

تنزوى عربة "راكـان" فى إحدى شـوارع المدينة ، والسائق يشـتت بصره باحثاً عن ركـاب يقلهم ، فـقد مـضى عليه يومـان ولم تمتلئ مـحفظتـه أو بالأحرى الـرباط المصنوع من قمـاش منكوش ،والذى يربطه على خـاصرته بالدنانيـر ، وشىء آخـر كـان يفـقـده هو الجلوس مع الـركـاب ، والتلذذ بالحديث معهم ، يقول السائق وهو يصف واقـعه : الحرب اللعينة ، أفسدت كل شىء ، دمـرت كل شـىء ، لم يبق شىء لم نبك علـيـه ، والناس ، أين الناس ؟؟ كـأن ألسنتـهم اقـتلعت من حناجـرها ، الشـعور بالغـربة قـاتل ، وأفظع منه هو الإحسـاس بالغربة حينما ينشـغل الناس عن أمور الناس ، أو يضطرون لذلك ، ويكون عـادياً أن يفر الإنسـان من أخيه الإنسان ... كل شىء يصبح عادياً ، موت الناس يصبح عادياً ...

السائق يضع إحدى يديه على مـقبض السيارة واليد الأخـرى يحرك بها الغترة غير المستقرة على شعر رأسـه الذى امتصه الزمن وظهر فيه شيب قبل أوانه .

السائق يزداد قلقـاً ، لسانه لم يتلعلع بالكلام منذ الصبـاح ، وتجثم على صدره كتل وأكوام من الكلمات التى تكدست كـقبور بالية ، كان فى وقت من الأوقات لا يكفـ عن ثرثرته ، بل وأصحابه القريبون منه يجدونه محدثاً لبقاً وماهراً فى التطرق إلى موضوع دون آخر ، ينجرف فى الحديث من أول وهلة تتـاح له ، ويتخـبط لسـانه يميناً وشمـالاً ، فـمن الحكم والأمثـال إلى القـصص إلى التـاريخ وأيام السلطان العـثـمـانى إلى مـجىء الاسـتعـمـار والانقلابات وثورة الضباط وإلى آخر الأخبار المحلية منها والعالمية .

السائق يخاطب نفسه :

الناس أصيبوا بوعكة اسمها الصمت ، منذ زمن لـم أجلس مع أحدهـم ،

كلما أفتح حديثاً يقلعـون عن المضى فيه . وحتى الأهل فى الريف هناك فى البادية ، حيث الماء والعشب ، حينمـا أزورهم تغيَّر بهم الحـال ، لم يعودوا يحضرون المجـالس . والمجلس الكبير ، مجلس شيخ العشيرة ، تعوَّد الناس فى السابق أن يجتمعوا فيه ، كان راكان البطل فى هذه المجالس يملك نصف الكلام ،لا يجاريه أحد ، يتغنى بأمجاد العرب وخيل العرب ونخيل العرب، آه النخـيل ... (يقول راكـان) : الشجـرة الجمـيلة ، وأجمل شـجرة عـرفهـا العرب ، لم تعـد كمـا كانت ، بل أصابهـا رماد الحرب بوابل مـنه ، وثمرها أصابه الشحوب والاصفرار.

الوقت يمضى ، والسائق ينظر إلـى ساعة يده ، وحينمـا يرهقه الانتظار ، يخـرج من العربة تنتـابه حالة من القلق والخوف من الحديث إلى إنـسان لا يعرفـه ، أو إلقاء تحـية دون مـعرفـة مسبـقة ، كـان كالغـريـب يدور بينهم ، ويمضى الوقت ، رأى أحدهم واقفاً عند كشك صغير يحمل حقيبة فى يده ، دعـاه إلى سيـجـارة ، وقبل أن يشـعلهـا له ، انشـغل عنه صاحب الحـقـيبـة واختـفى فى زحمة الناس ، الوحـدة شىء مقلق ولكن ألا تجد من تتـحدث معه شىء مخيف جداً .

أحس بألم ممزوج بالحرقـة ، كف الرجل عن النظر إلى الناس ، وهو فى طريقه إلى سيارته ، داس قدم شخص أعمى نهره الآخر ، اقشعر بدنه حينما رأى لحماً جافاً شاحباً يطل من فتحات قميصه المهلهل .

أصبح كالمعضوض والمقروص ، ويطرح نفـسه ثانية فى سيارته ، يحس بأقدام تـتحرك ، يطرق أحـدهـم باب العربة ، ينـظر من نافذة السـيارة ، يرى أمامـه رجلاً مهيـباً تبدو عليه سـمات الوجاهة ، وجـاهة من نوع صامت ، يعض بشفتيه على سيجار من نوع سميك ، يجر معه فتاة فى عمر ابنته .

السائق : هلا .. هلا ... عمى ... تفضل من فضلك ، ويفتح له باب السيارة ، ويجلس الراكب بكرشه الضخم وشحم كثير كان ينسدل من تحت فكه .

صاحب السيجارة : اطلع ....

تنطلق العربة ، والسائق يحرك مرآة السيارة العلوية ، يختلس منها نظرات ، كان يرى عبثاً يدور فى الخلف ، حاول أن يتحين الفرص ، لينغمس فى أى حديث مع الراكبين .

السائق : الاعتداءكان صارخاً هذه الليلة . أليس كذلك سيدى .

لا يعبأ أحد ، يحاول ثانية ، لا يجد أية إجابة ، وفى المرة الثالثة ينهره الراكب صاحب السيجارة :

أيها المتطفل انتبه إلى الطريق وسق بحذر .

راح يتأمل كالتائه ، ويشوبه الاضطراب ثانية عند كل صوت وضحكة خليعة ، حاول أن يعبث بالراديو ، لكنه كان مضعضع الحواس ، تناولت يده العابثة شريط (كاسيت) وضعه فى المسجل ، كانت أغنية شبابية ، يأتيه صوت صارخ من الخلف : قف ... قف هنا أيها السائق المتعجرف .

الرجل يحاسب السائق ، ويمشى إلى مبنى ضخم ، والحسناء تركض خلفه .

(٣)

السائق ساكن سكوناً أبدياً ... يتيه بعيداً ... بعيداً عن الناس والشوارع والسيارات ... يحاول أن يمسك بخيوط الوعى ، لكنه يغرق فى بحر

الذكريات ، يستعيد أحلام صباه ، جزء قديم جداً من حياته ، كرذاذ شاعرى، يبدأ يمر سريعاً أمامه ، راح يجتر منها برقة ولطف لقطات أيام مراهقته ، أيام فحولته ، حينما ضُبط متلبساً مع إحداهن ، يومها أحس بخجل وندم . وفى اليوم التالى دخل على أبيه وهو الوجيه من وجهاء البادية ، يريد الزواج ، وافق الأب على الفور ، حينما تزوج حملت زوجته بنت - شيخ العشيرة- ثلاثة أولاد فى بطن واحد ، زف إليه خبر ولادة لأبناء ثلاثة ذكور ، كان خبراً ساراً ، أقام فى ليلته وليمة كبيرة ، رقص فيها مع شباب العشيرة حتى الصباح .

الضباب الرومانسى ، يأخذه بعيداً حينما بدأ أبناؤه الثلاثة ينضجون أمام ناظريه ، وتبدو عليهم ملامح الصبية الصغار ، وبينما هو كذلك يداهمه ضباب من نوع آخر ، خانق بالمرة ، قادم من الجو الملوث فى الخارج ، يستيقظ على أثر طرقات أقدام سريعة من شباب مراهقين ، وجدهم فى المقعد الخلفى يحملقون فيه ويحملق هو الآخر فيهم كالمشدوه .

ويأتيه صوت : هيه ، أنت أيها النائم ، استيقظ قبل أن تقصفنا الطائرات المعادية .. تنبه الرجل ، يعود إلى يقظته من جديد ، ويدوس على البنزين ، تتحرك العربة ، تشق طريقها سالكة الطريق الزراعى .

(٤)

وسط النهر والماء العفن الصدئ مازال فى النهر ، تفوح منه رائحة كريهة، شدد الرجل من قبضته ، ومع هتافات الصبية ، كانوا فى عبثهم وأصوات القصف فى الخارج ، والعربة تخترق الشارع الطويل الضيق ، وزغدات طائشة فى كتفه تأتيه من الصبية تثير فيه شجوناً ، كان ذلك يشيع

فيه أحاسيس لم يعهدها فى نفسه منذ زمن طويل ، كان شعور قوى يضىء له فى ظلمة الليل ، علامات بيضاء ، يدفع شريطاً للقطات ظلت مهملة فى قيعان ذاكرته ، يتحرك الشريط من تلقائه ، حينما دخل ريفه ذات مساء وهو يحمل حلوى وهدايا وألعاباً لأطفاله ، كان كل شىء يبدو شاحباً ، وأصوات أم تركض إليه مسرعة تلهث ،وقد مزقت ثيابها وأصاب جسدها الكثير من الوحل والطين تحمل إليه أخبار ريفه الصغير ، أخبار النخيل ، كان كل شىء مغطى بالأحمر والأسود .

أصوات الناس اختفت ، وأصوات الخيول اختفت ، وكانت المنازل لا يسمع فيها هدير الماء ... "تناثر كل شىء ، تناثر النخيل ، وتناثر التراب والعشب الأخضر، وتناثر حطام منزلنا الصغير" ... كانت زوجته وهى تقص عليه ، تتلوى بين يديه .

وكان السائق وهو يحادث الصبية يتهدج ويشهق ، ثم يعود محاولاً أن يلصق الكلام فى الكلام .

٣٠/ ٨/ ١٩٩٩م
السعودية



طحالب لا تمضغ

(١)

أيقفز فى الهواء من الدور الشاهق ويهوى أرضاً ، فيبعث فيهم الإحساس ، ولتقف شعورهم رعباً ، مما يقع ويحدث فى هذا الدور العلوى من الفندق الشاهق الضخم ؟! عندما وقف المصعد ، وتيقن أنه وصل إلى الطابق رقم (١١) ، سلك الممر المؤدى إلى غرفته باحثاً عن أمه التى كانت معه منذ قليل ، لكنه كان شديد الحركة يقفز من مكان إلى مكان ، ذهب فى اتجاه آخر ، ففقد الطريق إليها وأضلته هى الأخرى . كانت ساعة الحائط تشير إلى الثانية إلا خمس دقائق ، وكانت المصابيح فى الممر باهتة اللون ، يغطيها اصفرار ، لقط أنفه الصغير رذاذ هواء غريب ، كان يشمه بتقطع مستمر ، شعر بشىء من الامتعاض ، أوحت إليه حاسته المرهفة أن مصدراً مشبوهاً كائن وراء ذلك ، مشى يتبع مسار الدخان ، وجده يتسلل خارجاً من جنبات باب الغرفة ومن أسفله ... حرك ناظره إلى رقم الغرفة ، وجدها أرقاماً فردية ١١٣ أحس بقشعريرة خوف تدب فى جسده الصغير

يا للهول .... يا للمصيبة

.... إنها غرفتنا ....

بحيرة لاحد لها أشاح بوجهه جهة الممر ، كان الظلام يطبق من جهة ، والهدوء يطبق من جهة أخرى ، وبدون مقدمات يسقط دخان كثيف يريد أن يطبق على أنفاسه ، حاول أن يتحرر من قبضة الدخان ، كاد يقع ، كان هناك ضجيج مختلط ، هواجس عديدة تنازعه ، عيناه مسمرتان على باب

غرفتهم، كان يحن إلى لعبته الجميلة التى أهداها له أبوه عندما اجتاز بتفوق اختبارات الفصل النهائى.

اللعبة الهدية الضخمة ....

أعز ما يملك ....

وكل ما يملك فى الحياة .....

كان يعتقد فى قرارة نفسه أنهـا تستغيث ، وتتلوى ألماً وعذاباً . كالمفجوع تحرك ذهاباً وإياباً فى الممر الموحش الذى بدأت السحب الدخانية تغزوه ...

أخذ يطرق الأبـواب ... ويرجع إلى غرفتـه ... ثم يطرق ، ويرجع ، دق الجرس ... رن ... ورن ... ورن ...

وهو منتـصب فى مكانه لا يزال يبـعثـر السـحب الدخانـية ، كـان ينتظر وصول أحـد ، ربما جاءه أحد المسؤولين ، ربما رأى أمـه ثانية ، أو أبوه الذى ينتظرهمـا فى بهـو الفندق فى الدور الأرضى . أصـدر أصواتاً ... أصـواتاً منكسرة خرجت من حنـجرته الصغيرة ، سمع صـوتاً ينهره ، هكذا ذهب به الظن أن أحـداً فى مـؤخـرة الممـر يصـدر صـوتاً ... تحـرك قُـدمـاً ... يتـبع الصوت... يـبحث عن الصوت ... لم يجد أحداً ، بل وجـد حيزاً موحـشاً لأقصى غاية .

تحـرك فى اتجاه المصـاعد ، وجـدها لا تعـمل ، إلى الدور السفلى يأخـذ السلالم قفزاً ... واحدة ... واحدة ... واثنتين ... اثنتين ...

سمع أشياء تجرجر خلفه ، أحس بهـا وهى تتبعه ، كانت ألسنة صفراء ، هكذا فسرها ، وفسر ثانية أنها ... أزبدت ... ثارت ... فارت .

(٢)

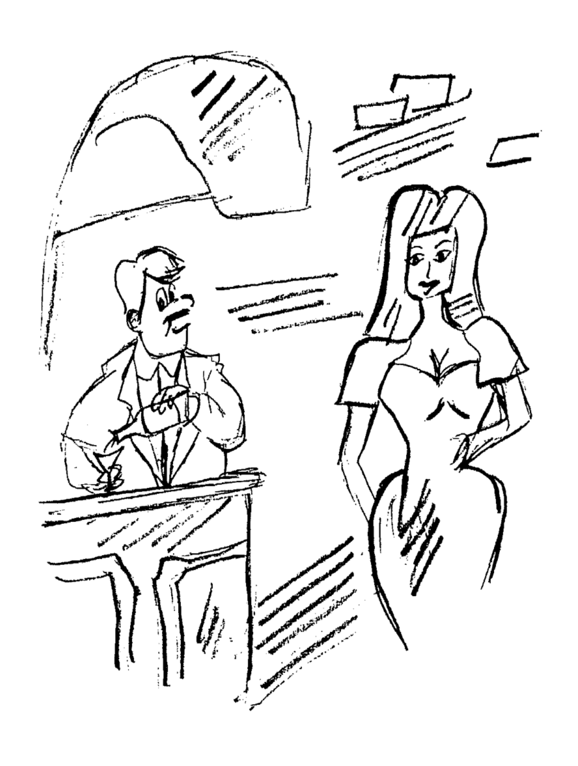
كـان اجتـماعـاً يضم وجوهاً شـقـراء وحمـراء وسمـراء . تكوَّم الطفل الصغـير ، وهو يرتـعش ويشهق فى حـضن أبيه ، وقـشعريـرة حمى جعـلته ينتـفض. وكـان هناك ضـابط التـحـقـيق والمخـتـبـر الجنائى ومـدير الفندق ومساعدوه .

أشارت الشقـراء الألمانية (نائبة المدير) كرستين بإصـبعها جهة الصـغير ، أثار ذلك حفيظة الأب الذى انزعج من اتهامها قائلاً : من الخطأ الفادح ، أن نطلق التهم جزافاً دون إثبات أو دليل .

ثم راح يداعب ابنه بيد بارعـة ، تولدت لدى الصغير رغبـة عنيفة ، لكى يقول شيئاً كان يقول كلاماً كثيراً مبعثراً لا يفهم منـه شىء ، سوى حديثه عن أصوات ، ودخان وأجساد تتحرك من خلف الضباب.

كان يميل برأسه الصغيـر من شدة التعب جنباً إلى جنب وحين حدق إلى أعـقاب نوعـيـة السجـائر الطويلة المهـملة التى رمـتهـا كـرستين فى مطفـأة السجائر ، تذكر كما لو أنه رأى مثلها فى مكان الحريق ، حاول أن يستجمع الموقف من جديد لكن التعب داهمه فغط فى نوم ثقيل .

٢٠/٩/١٩٩٨م
أبو ظبى



بدون عنوان

وباليسرى حملوا كأساً ... وباليسرى شربوا منها ...

(١)

جلس الثلاثة ، طلب الثلاثة ، أكل الثلاثة

وباليسرى حملوا كأساً ... وباليسرى شربوا منها ...

الزمان يدور فى مخدعها ، والخصر المضطهد يتلوى محله ، كأفعة رقطاء ، كانت الراقصة تلف جسدها حول نفسها .

والسادة الثلاثة رابعهم كأسهم ، غارقين فى سحر الخصر وهو يروى... وهو يسقى ... وكانت العيون فى محجريها يقيناً ثابتة ، أراد أكبرهم سناً أن يمسك بإحدى ساقيها لكنه أيقن بعد أن هوى أرضاً أنه أمسك بالهواء .

والكؤوس تطلب المزيد ، فراغ ناطق ... سوائل مرعوشة تملأ الفراغ من جديد ، وكأس وراء كأس ، يخرج أحد الجالسين ، ويترنح أمام الراقصة، وهو يحوم حولها ناثراً أوراقاً نقدية من فئة العشرات ، ويخرج منافس ثان ينثر من فئة المئات ، وثالث ... ورابع ...

(٢)

وباليسرى حملوا كأساً ... وباليسرى شربوا منها ...

العيون متعبة من السهر ، والرؤوس المجهدة لا تستقر فى محيطها المتأرجح ، حينها تختفى أضواء وتأتى أضواء ، أضواء جديدة هذه المرة ، تتقارع الكؤوس من جديد ، تتألق فى مكانها ، وتنحنى أجساد ، تأتى من بعيد ، تومئ بدلع ، تطير فى الهواء ، لترتفع عن الأرضية المرنة تلقتها الأيادى الغليظة ، فى ذل تنكسر الأيادى الناعمة ، تتلاقى الأعين ، والثلاثة

الجـالسـون وراء طاولتـهم فى انتظـار لقـاء مع ذات البطن الضـامـر ، ذات السيقان التى كساها لحم خفيف .

(٣)

باليسرى حملوا كأساً ... وباليسرى شربوا منها ...

والكأس العاصى غارق فى الخمر ، يعربد ، ينتفش ، يحمل على جدرانه الملساء صـوراً كثيـرة ، صور الثلاثة اللذين اندسـوا مع الداخلين إلى الملهى الليلى ؛ كـانوا مسـتقـرين أولاً فى حديقـة الشاى ، ببـهو الفندق، وكـانت القـهوة التـركيـة تدور بينهم فى حـديث يليق بسنهـم وعقـولهم وفكرهم ، لكنهم انسـاقوا مع الموجـات الآتية من النادى الليلى فى الطابق السـفلى من الفندق ، أثار ذلك فـيهم فضـولاً ، تلكأ الأول والثانى ، لكن الثـالث حسم الأمر ، فدخلوا مع الداخلين ، وانحشروا مع الناس فى هذا المكان الذى كله دخان وصخب ورعد وبرق، وثورة فى الأقداح، وثورة أخرى فى الأجساد.

قال الأول : قوتلت هذه الليالى ،كم جنت ،كم حطمت .

قـال له صاحـبه الشـمل : وسع صدرك ... ولا تعـبأ كـثيـراً ... ونل من الكأس حتى الثمـالة ... إنها ليلة فى العمر فعشـها طولاً وعرضاً ... واترك الورع جنباً ...

قالت له وهى تضحك فى سفور :

- نم ... نم يا حبيبى نم ... ضع رأسك الواهى على كبدى ...

ويأتى فجـأة صوت تحطم كأس، يسقـط معه أحد الجـالسين الثلاثة وهو غارق حتى الثمالة، عندها تنطفئ الأنوار، وينطلق صوت زعيق حاد متصل.

١٥/٨/١٩٩٨م
القاهرة



رعشات إثارة

كان يضع يده اليسـرى على ذقنى وقد استند بمرفقـه على حافة الكرسى عبر كتفى . كـان مظهره العام يبدو عليه التيقظ ، مما جـعلنى أمعن النظر فيه كلما سنحت لى فرصة .

كنت أجد رأسى تأخذ اتجاهات مـختلفة وتنحنى دائرة فى زوايا عديدة، تفوهت حينها بعبارات لم أكن متأكداً مـن الألفاظ التى استخدمتها ، لكنها أيقظت لـــديه نـزوات طائشـــة قـرأت ذلك مـن خـلال عـينـيـه القلقـــتين الفضـوليتين.

حينمـاحملتنى ريح مســعورة إلى هذا المكان الذى يبدو ظاهره مـهذباً ، سرر مرفوعة ومقاعد مـرصوفة ووسائد ملقاة على حافة الكراسى ، وجدت البـاب قد فـتح دفـعة واحـدة ، ووجـدتنى مـحمـولاً فى قلب المكان بقـوة مغناطيسية لا أملك ردها .

وحـينمـا كنت أضع قدمـى اليسـرى على أول سلم من الدرج المـتعـرج والمرتفع قليـلاً كان الصوت يبـدو أجشٍّ فى صراخه ، تـراجعت إلى الوراء لأستند بظهرى الذى بدا يـومها متقوسـاً بصورة ملفتة ، وقاومت إحـساساً، وتهيؤات بطيـئة بأن أصابع رقيقة مـتجمدة تتبع عمـودى الفقرى ، وتسللت قشعريرة عفنة فى داخلى لكننى حاولت جاهداً أن أوقفها عند حدها ..

مكثت أسـتجـمع أفكارى من جـهـة ولأنه أصابتنـى بالدوران من جهـة أخـرى تلك الموسيـقى الوحشـية الـتى تصدرها ريكوردرات الصـوت التى أصابها مس من الجنون المركب .

واستأنفت الأصـابع الراقصة رواية القصة بعـويل ناحب . حينما دخلت

إلى الصالون كـان ضوء النهـار فوقى ، وكانت شـفتـاى جافة جـداً . وكان مـساء ذاك اليـوم مضطـرباً بعض الشيء مصـاباً بوعكة عـارضة فى شـارع شانزلسيه بمدينة باريس :

مدينة الموضة وعارضات الأزياء

مدينة الرقة والجمال والدلع والدلال

مدينة الهشك والبشك

مدينة الرقص على حافة النار

مدينة الشعارات والماركات

مدينة العطور والبرفيوم

مدينة الميني والبودى

آه .... أوه... إيه .

فخرجت مبكراً تحملنى قدمان منهـكتان من طول السير والطقس المبعثرة أحـواله جو نهـارى ثم ضبـابى تتـخلله أمطار رعديـة تنقطع الأمطار فجـأة فتخلع الشمس خمارها لتعود الأجساد إلى عريها .

حتى لا نطيل القصة ونسهب ونستطرد فى إحدى ملابساتها الغريبة أكثر من الأخرى يمكننى أن أشير إليها بشيء من الإيجاز .

لم تكن الشـمس قد غربت تماماً بعد ، عندمـا اجتزت ممـراً طويلاً قرب الحـافة المقـطوعة فى الشـارع الحـجرى ، بدا لى صالون حـلاقـة يشف من زجاجـه مظهر رجل نحيف ؛ حـينئذ ساقتـنى إحدى قدماى لا أدرى أيهـما كانت الأسبق ، لكننى دخلت فحسب .

كان وقتها خرير تساقط الماء مرتعشاً ، رأيته واقفاً كتمثال صنم هجره المتبتلون إليه ، وفى يمينه مشط ذو مقاس غير اعتيادى ، وفى يساره مقص مفتوح الشفاه .

حينما جلست على المقعد المتحرك فى أكثر من اتجاه سمعت صوت الباب وقد أغلق عنوةً ، وقتها تحركت أصابعه تعبث باللحية الحريرية والمقص الفضى يجتز من الشعر صانعاً رعشات إثارة .

كان هناك شىء مميز فى أسلوب قصه ، استدار بعدها وراح ينظر اتجاه الفرشاة التى غطاها بياض الرغوة المنتفش ، ومع ذلك لم أستطع تفسير ذلك الشعور الغريب لكننى كنت على يقين من أنه كان مميزاً إلى حد كاف لإثارة انتباهى ، عندما كنت مستغرقاً فى غفوة الأنبياء تنام الأعين لكن القلوب يقظى .

وعند التفكير فيه حين يكون قريباً منى كنت أحس بالحرارة تشع من جسمه البض الناعم أكثر من المطلوب ، وسديم صامت مغلف كان يغطى وجهه ويخفى أسراراً لا أعلمها .

كانت البداية بسهم حاد ، صوت أرعن يخترق الغطاء السديمى ، تلا ذلك صرخات قصيرة نافذة الصبر وبعد ذلك تموجت الأكاليل الضبابية بشكل غير منتظم عبر سكون مرعب ، ثم مزقت الهواء صرخة حادة سريعة مثل زعيق مخلوق غاضب متحجر القلب بجلجلة صاخبة .

كانت كلها تقول :

- تهيأ بوضعية الاستعداد الصارمة .

ثم كانت الجولة التالية ، حينما انحنى بخد أرجوانى مائل بشكل لعوب

على كتفى ، وتتلاقى وجوهنا سوياً جنباً إلى جنب فى المرآة الأمامية ، كما كان يخرج لسانه الأحمر بشكل بعيد عن الاحترام .

شكله كان يبدو طويلاً وهى فى الأعلى فوقى ، غارق فى وهج الشعيرات الصغيرة المتناثرة وقد التصقت بيديه على شكل بقع قبيحة ، وأشعة الغضب مرتسمة على محياه الأبرص الذى بدا يفضحه .

لكننى عبثاً رحت أقى عينى بإصبعى شعرة غيرمرئية قد تمكنت من التغلغل أسفل الجفن فى مكان خفى وقبل أن أتمكن من رؤيتها بوضوح ناديته :

- (هيه .... أنت فى الأعلى) .

أطلق سهام عينه تجاه المرآة الزجاجية التى تجمعنا سوياً وأخذ يلتفت ثانية وثالثة وعندما نكس ببؤبؤة عينه رآنى أسفله أطلبه فى شىء .

وكررت السؤال ثانية ، وبعد توقف ليس طويلاً بدا خلاله وكأنه يراقبنى بانتباه مركز أومأ بالمقص تجاه قارورة فيها ماء نظيف تبعد قرابة ياردة أو أقل.

أجبته : لا بأس

وتوجهت بيدى نحو تلك القارورة كلما أوشكت أن أمسك بها وجدت شيئاً ما يسحبنى بقوةجاذبية لأعود ثانية إلى موقعى الأول حاولت دون يأس، حتى تلك الزجاجة .

كان الوقت الذى مكنته على الكرسى وهو من فوقى ورأسى أسير يديه يبدو طويلاً كأنه كابوس غامض لا يريد أن يزول ، كنت أرى خلاله وأنا أعض على شفتى السفلى ، أصابعه السرابية التى كانت تظهر على شكل

وهم فى أماكن عديدة لتختفى فجأة ، ثم لا تلبث فتظهر من جديد فى أماكن أخرى .

كانت عيناه غير مستقرة ، دائمة الحركة ، نتيجة جمود رأسى فى حيزه الذى لم يخرج عنه ، كنت أظن وقتئذ أنى أرى بشكل خفى وأنى مخلوق بشرى له عينان فى مؤخرة الرأس كان يخيل إلى ساعتها أنى أكتشف المفاجآت التى كانت تنهال عليًّ بين الهنيهة والأخرى .

مازلت أتذكر ساعة الشؤم التى دخلت فيها هذا الصالون وأسلمت لحيتى الحريرية الناعمة وشعر رأسى الأسود الغامق والمائل جنباً لهذا المعتوه الذى مازال يعبث بها ولا أعلم إلى أى مصير سيحيله .

سنحت لى الفرصة مرة واحدة ، وكانت الفرصة الوحيدة حينما وجدته يفتح الباب ويدخل إلى غرفة جانبية ، كانت يداه تحضران أشياء لا أعرفها ، وكانت هناك أصوات قرقعات وارتعاشات ورعشات ماء متفاوته فى الحدة، كان الظن السائد أنه يخلط مركبات ذات تركيز عال ، تيقن الظن حينما شممت رائحة ذات نفاذية قوية .

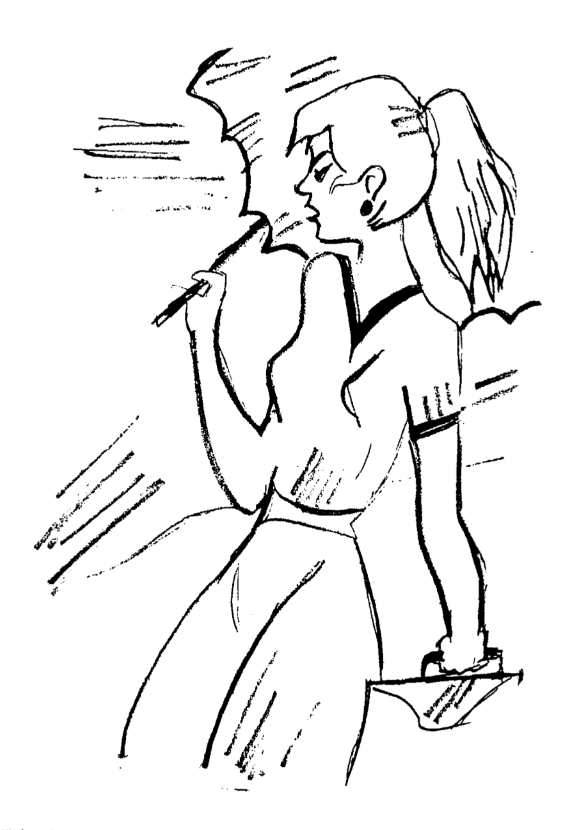
استحوذت على ذهنى فكرة رهيبة ، حملتها لى رياح حرية لا أدرى من أين أتت !!

لملمت قدمىّ ويدىّ ورأسى أولاً الذى انغرس فى بطنى ، وحملت جسمى الذى تكوّر فى حيز ضيق لألوذ بنفسى فاراً خارج الصالون ...

حينما كشفت وجهى على مرآة حقيقية فى منزلى كان مظهر شعر الرأس والذقن بشعاً وقبيحاً كانت هناك خصلة متدلية فى الخلف وخصلة أخرى فى الأمام وتدرجات على الجوانب كتدرجات السلالم .

فقط مكثت أياماً عديدة لأعالج ما خربته يداه ، وأصلح من شأن شعرى الذى أفسده المعتوه ،وكان يريد أن يفسد أشياء أخرى .

١٩٩٨/٧/١٦
باريس



سنيوريتا بونيتا

شمسنا شرقية عليها وقار ..

شمسهم غربية جلالها سفور

ابتـهجت لى الأيام مـرة .. عاصف رمـانى من بحـر غرامـها ، فـأنا باللّه مستجـير .. ذاك الشعور أحسست به حينمـا رأيتها ... لكنها تاهت عنى ... وتهت عنها ... حتى إذا مالمحت شعـرها كوميض بارق ... انطلقت ألحانى تغرد من جديد .

ألحان عـذبة بعثـها لحاظى إلى لحـاظها ، وموسـيقى هادئة كان يطلقـها خيالنا المتأجج بين الحين والآخر ، وكمان العاشقين يرسل نغماً ساحراً يوقد نار الشوق ويحلق بنا بـعيداً عن هذا المحيط الصـاخب تعربد فيـه الأصوات المجلجلة ، وزعيق الميكروفون ، وطقطقات الأقدام ، وحـركة السيقان كانت جميعـها هذه المؤثرات الخارجية المزعجة تدور مـن حولنا ، وتلف هذا الحيز الأنيق الذى نعيش فيه سوياً .

كنا جالسين على مـقعدين مخـتلفين ، هى فى جهة وأنا فى جـهة ، بيننا مـسافـات طويلة وصـفـوف عريضـة من المسـافـرين القاعـدين فى مـحطة الترانزيت فى مطار مـهيكو بمدينة المكسـيك فقد كانت مـتجهـة إلى الغرب بينما كنت متجهاً إلى الشرق فى رحلة العودة .

كان لقاؤنا فـى المحطة ثانية يعد بمثابة مـعجزة بعثهـا لنا القدر وهدية من السـماء ، لـذا فقـد كنا حـريصين ألا نفـارق ناظرينا ، أراها بهـدوء وترانى بهدوء ، وتشق عيـناى الصفوف لتلمحهـا من جديد ولتلقى التحـية ثانية .. وثالثة .. وللمرة العاشرة كنت لا أفـارق محياها ولا أمل رؤيتها ، وسط هذا

الإزعاج فى كل زواية ومكان . وكـانت الوفود المسافـرة والناس يقتحـمون محيطنا دون سابق إذن ولا يرعون قدسية ما يدور بيننا كانوا يجرون معهم الحقائب ، وحقـائب أخرى فى عربات وثالثة عند عتبـة حاجز "الكونترات" وأخرى فى الأيادى وعلى الأكتاف .

لقد كـانت بحق جنة تبعث الحيـاة ... نعم ، هام الغرام ... أعجـبت بها من أول نظرة ، ووقعت فى غرامها من أول وهلة ، هكذا ذهب الظن بى أنى لهـا ، وهى لى ... وسـمـعت صـيحـات اسـتـحـسان تـنطلق من داخلى . سـتكونان حـتـماً أسـعـد مـخلوقين ... وأحـسن زوجين ... هى وأنت ... وستنجـبان أطفـالاً سعـداء ... وأسعد أطفـال فى الدنيا ... سـتتبـاهى بهم قريتك فى "الذخـيرة"* وستـسعد والـدتى ... نعم أمى التى أحبـها كثـيراً ، ستفرح لسماع نبأ خطوبتى من هذه الأميرة الجالسة فهى تريدنى منذ زمن أن أتزوج ، ولطالما سعت أن تزوجنى من بنت الجيران "منيرة" لكنى كنت أتعلل دائماً أنى مازلت طالباً فى الجامعة ، وعلىّ مواصلة الدراسة والعمل أولاً ثم التفكيرفى الزواج .

نعم هذه الجالسـة تبدو محـبوبة للغايـة رؤيتها تجلو صـدأ النفس رونقاً ونظاماً .... مهبط الجـمال ..... ، شابة أسبانية .... حـور تشتهى ..... تبدو من الملائكة يكسو جمالها نور .....

مازلت أتذكـر وأنا أتنقل بعينى فى خمائلهـا وحين وطئت أقدامنا أرض مطار "" أكبـوكو"" ومع الدخول والخروج كان اللقـاء صدفـة ، وكانت السماء يومـها هادئة تنعم بسحب صافيـة وكان الضباب مثيـراً للغاية يحمل معـه حبات من الماء العـالقة ما إن تلامـس البشرة وخـاصة الوجوه الناعـمة

---

* الذخيرة : قرية فى شمال قطر تتبع مدينة الخور

فتضفى عليها جمالاً نرجسياً من نوع آخر .

رمقتها ... ورمقتنى بعينين غامقتين ... ناعمتين كالحرير .. وبقدسية تمعنتها ، واقتربت منها متبتلاً حريصاً كل الحرص ألا أخدش حياءها ، وهى الأخرى أحست بما يدور من حولها . كانت تسير برفقة والدتها ،كانت تبدو جذابة أنيقة فى ملبسها . وقبل أن ألقى عليها التحية كانت أرواحنا تتهامس فيما بينها ، وحديث القلوب سبق ألسنتنا ، وحينما هممت أن أقول شيئاً تلعثمت ،وانطلق فجأة صوت الميكروفون فى ندائه الأخير بسرعة التوجه إلى البوابة رقم "٢" فقد قارب وقت الإقلاع ، جذبتها والدتها من طوق أسرى ، كانت ترانى وهى تبتعد عنى متجهة إلى البوابة مكثت أسير الولع بها فى مكانى جامداً ، مر زمن وأنا واقف ، وجدت بعدها من يوقظنى من غفلتى:

- سيدى ... رحلتك من البوابة رقم "٢"

عاد لى الشعور ثانية ، وأيقنت أننا نسلك نفس الاتجاه وأن رحلتنا واحدة ، مسرعاً هذه المرة ، حملت فى يمينى شنطة يد ، متجهاً إلى الطائرة، استوقفتنى المضيفة الجوية :

- سيدى ... البطاقة لو سمحت ..

أبرزت لها البطاقة وحواسى ليست معها كنت أجول برأسى فى الممرات الداخلية كلما أتذكر أنها أشارت بيدها :

فى هذا الاتجاه ... الجهة اليمنى.

تغلغلت فى عمق الطائرة المكتظة بالناس ، كانت ممتلئة وكان علىّ أن ألتزم برقم الكرسى المخصص لى .

أخـذت مـوضعي ، ووضـعت الشنـطة فى الرف العلوى وتحـركت فى ممرات الطائرة باحثاً عنها ...

مضى كثيرمن الوقت ، والطائرة فى السمـاء قرابة ساعة أو أكثر ، وكنت أظن أنى سأفقدها ، ولن أراها ثانية ...

ومـا أن هبطت الطائـرة أرض المطار حـتى رأيت شـعـاعـاً يتـحـرك من الصفوف الأمـامية . تبعتـه دون تردد حركت ساعدى أكـثر وقدمىّ أطول ، لكى أحظى بلقاء ثان ...

أسرعت ... ركضت ... تعثرت ... ثم ركضت ثانية ... تعثرت ثانية... لكنى واصلت السير .

كانت تنتظرنى جالسـة مع والدتها ، هكذا استنتجت من خلال مـتابعتى لها من بـعيد كـانت تبدو قلقـة ، وما إن رأتنى حـتى هدأت ، رأيتهـا تحدث والدتها . ربما باحت لها عن سر إعجابها بى ، وعن سرورها ورضاها عنى ، وجدت والدتها تبعث بنظرة استحسـان .

كـان المكان مـزدحـماً للـغاية والكـراسى القـريبة منـهمـا عليـهـا أناس جالسـون، اضطررت أن أجلس بعيـداً ... كانت تقول لـى شيئـاً من خلال حركة عينيها ربما أن أكون أكثـر جرأة ... ربما أن أبادر التحية والتعارف ... ربما أن أفعل شيئاً ... أى شىء ... لأقتحم هذا المحيط الصامت . تساؤلات كثـيرة دارت فى رأسى ، أثار ذلك كثـيراً من الاهتـمام والانشغـال بها ، لذا فكرت أن أحسم الموقف ، وبجرأة أكثر هذه المرة، لأزورها فى موقعها، وبدأ حماسى يزداد لهذه الزيارة؛ لأبين لها أن هدفى نبـيل وغايتى شريفة ورغبتى أكيـدة كان الدور صعـباً لأبعد الحـدود ، ولكن كان علىّ أداؤه، ومما زاد فى صعوبة الأمر أنها كانت جميلة للغاية، بل أنها أجمل فتاة رأيتها فى حياتى.

اقتـربت أكثر ... فـأكثر ... رأيتـها تبتـسم لى ... وبدا محيـاها يتهلل ، وكأنها تستبشر بالخير ... فازدادت ثقتى بنفسى وشعرت أن الأمر طبيعى... أتيت إليـها ... مـختـرقاً كل ألوان الخـوف ، ألقيـت عليهـا التحـية باللغـة الإنجليزية :

كود مورننك هاو دويو دو ... نايس توميت يو ...

أجابت بكلمات تحية فسرتها باللغـة الإيطالية ، ولكن تبين فيما بعد أنها اسبانولوتا وكانت لدى بعض الكلمات الأسبانية ، فاستعنت بها

- (سنيوريتا بونيتا)

كانت كلمـاتها عذبة يتقطر منـها العسل ، تدل على سعـادتها ولكن لم أفهم منها شيئاً :

ضحكَتْ ... وضَحكْتُ ... حاولـت ثانية ... وحاولت هى الأخرى ... كنت لا أجيد لغتها .

ضحكنا ثانيـة ... وثالثة ... وظللت كـذلك يحاول كل واحد فـهم لغة الآخر ...

وفتحت الأبـواب ... وقدم المضيفون الأرضـيون ... وأنا وهى ... وهى وأنا مازلنا فى محـاولاتنا الفاشلة ، والسيناريو المضـحك أن وسيلة الاتصال مفقودة ...

وانقطعت أصواتنا ... وانطلق صوت الميكروفـون من جديد ... للتوجه إلى البوابة رقم (١) ، نهض المسـافرون واتجهوا إلى البـوابة ، والدموع بدت تتكلم هذه المرة ، عجزت عن المواصلة ، وعجزت هى الأخرى ، ويافرحة ما تمت ، وجـاء صـوت والدتهـا وصوت المضـيف الأرضى الذى كـان يبـدو

مزعجاً . ليقطع هذا التعلق الذى لم يكتب له النجاح .

كانت لغـة التفاهم حائلاً دونى ودونهـا ... ودعتها عـيناى ... وتركتنى مودعة قائلة

- "آريوس"

ضاع الكلام بيننا لم أفهم منها ولم تفهم منى شيئاً سوى أنها :

متجهة إلى الغرب

وأنى : متجه إلى الشرق

١٤/٧/١٩٩٨م
جنوب أمريكا



ظل الروح

هكذا كانت تبدو ... بل هكذا رأيت ... وهكذا حدث لى ... الأقدام تعلو ثم تهبط ، تطفو ثانية فتعود لتلامس الأرضية الملساء المكسية برخام أبيض... السيقان العارية تحمل أجساداً منهكة ...

كانت الفوضى عربدت ، والأصوات حشرجت ، والأنفاس انقطعت عندما هتف فيمن حوله :

"يا ذابحى أخاهم ، هونوا قليلاً ، أنا لست أرضى فعلكم أن أرى هذا الاختراق للصفوف ، التزموا أدب الطواف فى السير ..."

والأقدام الحافية فى تتابع متصل تعلو ثم تستوى ، فى صعود يلازمه هبوط ، والطوّافون فى دورانهم لا يملكون قوة لرد تلك الحركة القسرية التى تحمل أبدانهم وهى تموج فى حركتها ، لكن الازدحام اليوم غير الأيام التى انقضت ، والناس فى تكاثر تجدهم يتوالدون فى مواقعهم ، والأجساد فى مشيتها تتلاحم والرؤوس فى التفافها تتلامس ، ومزيد من الناس يقبل ... الحفاة العراة تغطوا بغطائين غطاء يستر الجزء السفلى ، أما العلوى فله غطاء يستر معظمه حيناً ، وحيناً آخر يفضحه ، وحينما أوشكت قدمه أن تطأ الخط المرسوم بلون داكن وقبل أن يتلاقيا حال بينهما الموج الطاغى والسيل البشرى العارم . لكن شيئاً ما سقط من الأول وانغرس كالشوكة برداء الآخر .

سمع ثائرة ضلوعه تشكو حدة الضغوط الجانبية تارة ... والضغوط المحورية تارة ثانية .... والضغوط الفوقية تارة ثالثة ... والناس فى غمرة التوافد المتتالى لايأبهون بمن أمامهم أوخلفهم ، لكن ظلّ صاحبه ظَل يلازمه فى طوافه ، وكان كلما تعثر فى مشيه وقبل أن تناله الأرجل والأقدام ،

تخرج يد غليظة من وسط الظل الأسود تسعفه أحياناً وتنشله من وسط الجموع الهائجة كما تنتشل الأم وليدها حينما يسقط ، هكذا كان يحس وظل يحس ... حاول لمرات عديدة أن يصل إلى الظل المتابع لمشيته ، لكنه لكثرة الرؤوس من حوله لم يستطع أن يحقق مراده فعاد من جديد يكمل شعائر عبادته .

الأقدام من جديد تعلو ثم تهبط ثانية ... عيناه فى محجريهما كانتا تستشفان قراءات عديدة من خلال هذه الوجوه التى أمامه ومن حوله ...

الزى واحد ،والإنسان هو الإنسان ، جسم فى ظل روحه ، الهويّات ضائعة ، والوجوه مختلفة الألوان والتقاسيم .

استفسارات كثيرة مرت تباعاً على مخيلته ... لكنه رغم ذلك وجد لذة تعتريه بين حين وآخر لا يعرف سرها ... ومشاعر جميلة كانت تتدفق يجهل كنهها أوسبب مجيئها ... لكنه لم يجرؤ على مقاومتها وبينما هو كذلك ، وجد ثانية اليد الغليظة تجد طريقها إليه تلاحقه هذه المرة تسأله عن شىء ، تربت على كتفه ، انتبه لنفسه فرأى أنه قد دخل فى الشوط الأخير تحركت حينها شفتاه بأدعية غير مسموعة ، وحاولت يداه أن تلامس اليد الغليظة لكنهما عادتا خائبتين ...

والحفاة يرتفعون ثم يهبطون ثانية ...

بدت الحركة تضطرب أكثر فأكثر ، ثم أكثر فأكثر وظهرت لأول مرة رياح هوجاء لا يقف شىء فى وجهها والتمتمات مرتسمة على الشفاة والتسابيح تنبثق ملء الأفواه ،والرياح الحلزونية ترفع من يطأ محيطها عالية ثم ترديه أرضاً ...

غريق هذه المرة ، ظل يحرك يديه ورجليه لكى يتشبث بأى يد مغيثة ، أو خصر يتكأ عليه ، بجسم أو هيكل جسم أو رأس يقفز إليها ليتعلق بها ، لكنه وقد تاهت ظنونه ، أيقن أنه غريق لامحالة ... وأسلم روحه لبارئها ، لكن اليد الغليظة ، أبت إلا أن تقتحم المهالك على جواد السرعة لتنتشله من جديد ...

تلمس جسده ، وجده منهوكاً نصفه ، وشبه صحيح نصفه الآخر ، وقتها تلاقت عيناه مع عينى صاحبه بجسده ماثلاً أمامه ، قمحى اللون ، كبير الرأس ، عريض المنكبين ، واسع الجسد ، قوى البنية .

تحدث إليه بلهجة مصرية :

- اسمى أحمد إسماعيل ... أعيش فى مصر ... وأعمل الآن فى قطر ... وبعد أن تصافحا وتعانقا ... شكر لصاحبه صنيعه ، وبينما هما كذلك فى حديث يجمع القلوب سأله عن خاتم قد سقط منه وتعلق بردائه بحث عنه وجده فى متناول يده ، وقبل أن يعطيه إياه هاجت ثانية سيول بشرية لتجرف صاحب الظل فيختفى وسط الزحام ، بحث عن صاحب الظل ثانية وأدار رأسه فى جميع الاتجاهات عله يقتفى له أثراً ، فلم يجده ، بل وجد الخاتم فى يده ، قربه إليه وتفحصه وجده وقد نقشت عليه آيات قرآنية فى جهة ، وفى جهة أخرى صورة لطفل وعيناه تذرف الدموع .

١٢/ ١٢/ ١٩٩٨م
مكة المكرمة



يسار... يمين... يسار

كنا نموت موت اليائسين . موت التافهين

وكنا نموت موت الغانيات ...

موت العاهرات ...

أما اليوم فالموت مختلف

من الموت أدنو ...

وإلى الموت أركب ...

حينما الديار استنجدت ، ولاحت بآفاق العدو سرية تبدو تارة ، وتختفى عن الأنظار تارة أخرى ، هم قليلون من بعد ، كثيرون إن دنو ، كانت لهم فى مسيرتهم مواقع راحات وسكن آنا ، وآنا يتهيبون وتدب فيهم الحركة فقد وصلوا قريباً شرقى النهر الضيق الممتد طويلاً وكان عدوهم غربية لكنه كان مندفعاً سريع الخطى عندما كانوا يسيرون على صراط الحشر، فانزلقت إحدى قدميه .. سقط ...

انزلق ثانية ... فتوالت السقطات ... واستنتج من غير شك أنه سقط حتماً ونظر عالياً ليرى المسافة الهائلة التى قطعها والتى بالغت فى ضخامتها تلك الأشعة البنفسجية الباهتة للشمس وقد أوشكت أن تغرق فى البحر .

يسار .... يمين ... يسار

أخذ العساكر يجدفون سيقانهم بحركة متناسقة كأنهم مندفعون فى يم سهل هادئ عميق ، وفوقهم يرفرف زوج من الحمام الأبيض وقد نشر جناحيه وبدت أرضية الميدان الفاتحة ، وكأنها تمنحهم ابتسامة ترحيب أو سلام خذ .

يسار ... يمين يسار

كانت هناك صورتان تتراءيان له لحظتها ، ساعتها ، وقتها وزمن انفراط

السلاح ، البارودة التى كانت يحتضنها فى يمينه ويضمها إلى صدره ...

صورة واقعية يعيشها جسده المكتنز فى زى ميدانى عسكرى مموه، فى دورة التخريج والتى حضرها جمهور غفير من ضباط يحملون رتباً وشارات عسكرية وصورة أخرى هلامية يعيشها عقله الباطن وتمثلت فيها روحه التى كانت تحلق وتطير إلى آفاق بعيدة وإلى مواقع كانت تستعر فيها النار الحمراء ، هناك عند جنبات النهر فى أخفض البقاع وفى أدنى الأرض.

يسار ... يمين ... يسار

الحياة فى الكلية العسكرية موحشة إلى أبعد حد ، خصوصاً فى الأمكنة النائية ، فالمرء غالباً لايرى أهله وذويه خلال أشهر متواصلة ، وعندما أعلن الضابط المسئول بدء العرض العسكرى ، قام الجنود جملة واحدة منصتين لإيقاعات صوته المتقطعة ، وانطلق مع حركته التى احتلت مواقع عديدة ، على أرضية الميدان وميض من الألوان مثل وميض جوهرة نادرة .

يسار ... يمين ... يسار

كان الجندى يمسك السلاح بذراعيه مع أقرانه وهم يستعرضون مهارتهم فى قذف السلاح ونقله من يد إلى يد ومن ذراع إلى ذراع كانت يده طيِّعةً سهلة فى نقل السلاح، لكنه كان هائماً بخياله بعيداً هناك عند أطراف النهر.

يسار ... يمين ... يسار

لم يتضعضع منكبهم ، ولم يستعص عليهم المركب حينما قطعوا الجسر القاصل إلى ضفه النهر الأخرى ، توالى الرصاص تجاههم وكانت الرياح الصفراء تنفث هواء ساخناً مثل هواء الفرن ، كما كان ميزان الحرارة يشير إلى ارتفاع الدرجة المئوية بنسب ملحوظة ، وكان فريق الله يمر مر البرق ،

بينما جيش العدو يتناثر ويكاد يختفي ويذهب ، ولاذوا يتقهقرون ... ينسحبون إلى الوراء ، وينسابون كما تنساب الثعالب ...

يسار ... يمين ... يسار

لكن بارودته ... التي كانت تنتقل من يد إلى أخرى انفرط زمامها من يديه ... انزلقت ... سقطت ....

وكانت تدور في الهواء هاوية إلى الأسفل ...

يسار ... يمين ... يسار

لم يستشعر الجندي في بادئ الأمر ، لكن حر الوغى ... نغمات الصوت المتقطعة أعادت الروح المحلقة إلى الجسد في واقعه على أرض الميدان ، وفي الزمان والمكان الذي يقام فيه الاستعراض العسكري في دورة التخريج .

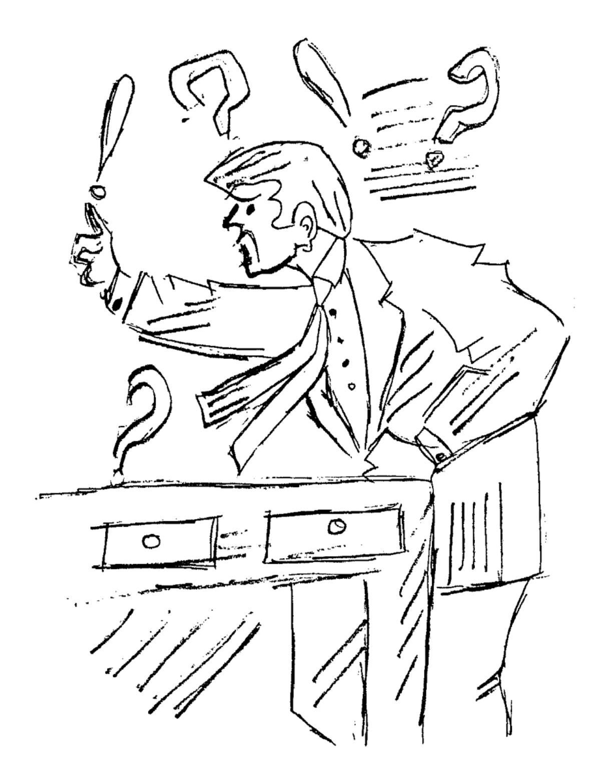
يسار ... يمين ... يسار

تلكأ الجندي في بادئ الأمر ، وقع أسير حيرته ، حملق باندهاش نحو ذلك الذي يكاد يستلقي والذي كان يسقط لحظة إثر لحظة في محيط بدا وكأنه ظلام هابط .

يسار ... يمين ... يسار

تحامل على نفسه حتى وقف جيداً على ساقيه وهو يحس بالأوجاع تنتشر في كل مفصل وطرف ، وانحدر أسفل بخفة ، ونزل حتى كاد أن يلامس سطح الأرض ، وسرعان ماحرك يده اليمنى بسرعة خاطفة ووكز فوهه البارودة إلى الأعلى ...!!!

١٥/ ٣/ ١٩٩٧ م
الدوحة



(١)

هيه ... يا زمان التقلبات والموجات
لاتقلها نطقاً أو كتابة ، أو حتى همسات إشاعة ...
وإنما قلها بعينيك وتبادل النظرات .

ضرب البحر بحصيات صغيرة استجمعها فى يده ،وكان كلما يضرب البحر ، ينجلى الغموض وتتضح الرؤية لتكشف عن الحقيقة التى كانت غائبة عنه ...

ويدا له القمر باهتاً ليلتها فى إشعاعه ، منكسر الخاطر حزيناً كأنه يعيش معه ، ومن دون استئذان انشق القمر وانفجر ما فى داخله ، أحس بتمرد داخلى يتراكم بسرعة ، كما بدت رؤى غريبة يحس من خلالها أنه لا ينظر إليه نظرة موظف بسيط أمام مسؤول كبير ، وفى قرارة نفسه تتلظى نيران غضب تدور حول موقف ما ، صورة ما، موضوع ما، جمع بينهما فى وسط جدران مكتبه بالدائرة حينما رمى الأوراق فى وجهه ، تخيل ساعتها أنه انفرد به فى مكان مهجور والظلام الحالك قد لامس الوجوه ، وهو من أمامه يرجوه أن يكف عن ملاحقته ويصدر هو صوتاً عالياً مهيباً هصوراً طالباً أن يغرب عن وجهه ، ويهم أن يأخذه الضرب والركل.

(٢)

هيه ... يا زمان التقلبات والموجات

فى قاعة الاجتماعات كان يرُى شبه نائم ، شبه مستيقظ ، ويدرك

الجالسون معه على الطاولة أنه غارق فى فكر خاص ، لم يعد يحس معه بأى شىء حوله وينسابون من قاعة الاجتماعات واحداً وراء الآخر حريصين تماماً ألا يخدشوا قداسة استغراقه ، بينما كان يمسك بيده ملفاً يضم تقريراً استغرق منه وقتاً طويلاً وجهداً مضنياً يكشف عن مفاجآت وممارسات خاطئة ، وقرارت غير مدروسة أصدرها المدير دون مراعاة للنواحى والأصول والأعراف المتفق عليها ، وإنما لمصلحةخاصة وهدف وغاية دنيوية بسيطة ، وانبعث وهو جالس فى مكانه هاتف غامض... أن يرفع الأمر إلى المساعد لا بل إلى الوكيل وإذا لزم الأمر إلى ... وترددات تأتيه فى شكل حزم ترجو منه أن يبقى على حاله ... يمكث ... يتريث ...

وفى تفكير ثالث ليبعد نفسه عن دائرة القلق والهم العميق من تحمل المسؤولية يقرر أن يقدم استقالته ويريح ويستريح ليكبح جماح الضمير الذى بدا يستيقظ فى جسده وخياله لا يفارقه وهو يقظ ، ويأتيه تارة وهو نائم ، لكن دمدمة الرغبات الملعونة كانت تحاول أن تغريه أن تحيده عن تصلبه ليلين ويدع الأمور تسير ولا يقف فى وجه التيار الجارف .

(٣)

هيه ... يازمان التقلبات والموجات

أجننت .....

أم تراه الطريق الأكيد للجنون .....

طول عمرك هكذا ....

قالها المساعد للموظف ......

كيف تجرؤ .....

كيف تفكر .....

كيف تكتب .....

هيـا اصرف النظر .... ولا تعـد ثانية ، ويتكرر المشـهد ثانيـة فى مكتب المسؤول الأكبر .... وفى المرة الثالثة ....

يرى المسؤول الأكبر يتمـلمل فى مجلسه على طرف الكرسى ، تململاً لا حركة تصدر عنه ، مشدوها حائراً ، مرتبكاً ارتباك المبتدئين ، خَجِلاً من نفسه خَجَلاً أبشع من خَجله من أى غريب .

وبدا الموظف واثقاً من نفسه ، لكنه هاله عندمـا رأى المسؤول الكبير بجرة قلمه يكتب على التقرير يحفظ ولا ينظر فيه، نظراً لعدم التثبت ولعدم الصفة.

حينذاك ثارت ثائرة الموظف أشبه بثـورة المجنون ، وأصوات متقطعة ترن فى أذنيه تنهال عليـه وينحيها وتنهال ثانية ... وثالثـة ... حتى يهدأ ويسكت تمامـاً ، وعاد الصـمت من جديد والذى كـان يبـدو الحل الوحيـد للإشكال كالسرطـان الخبيث البطىء يعمل عـمله فى فكره أن يستلم أمامـه خوفاً فى مركزه ... بطشه ... بجرة قلم منه .

احتمالات ... كل احتمال منها كارثة أبشع من الأخرى ويأتيه صوت :

لاتقلها نطقاً أو كتابة ، أو حتى همسات إشاعة .....

وإنما قلها بعينيك وتبادل النظرات

وتهدجت صدور المجتمعين اللذين حضروا الاجتماع .

هيه ... يا زمان التقلبات والموجات ...

٥/ ٢/ ١٩٩٧ م
الدوحة



القرية الرمادية

(١)

كان الدغل الاستوائى غنياً بالحياة غنياً بالحركة ، حتى أنك لا تستطيع أن تخلو بنفسك منفرداً فى غيبوبه خيالك ، تشعر بالكائنات وهى تخرج من أوكارها عندما يتعالى فى الأفق زئير أسد من قمة جبل ، فترى الحركة وقد تجسدت فى كل كائن يزحف على بطنه ، وآخر يمشى على أربع ، وطائر يشدو وينوح ، وعصفور يزقزق ، وفى كل حفيف ورقة شجر حين يداعبها الريح فتنحنى راكعة .

وكان الظلام يخيم هناك فى عمق الدغل الاستوائى لكن الشمس البراقة كانت ثقيله على رؤوس الأشجار وأمام اللسعات المستمرة لأشعتها الملتهبة سمحت للبعض منها أن تنفذ فى جوف الغاب .

استيقظ الشاب على صراخ قاس صدر من كائن قد أمسك به عدوه فى أعماق الأدغال ، شعر بقشعريرة تسرى فى عموده الفقرى ، أطلق رجليه تجاه القرية الرمادية التى شب فيها الحريق ، وعندما اعتلى ربوة صعبة ، حدق فى محيطها بعينين قلما ترمشان ، رأى الأكواخ البدائية المصنوعة من السعف ، والآن تمزقت إلى قطع والدخان يتصاعد ...

دار حول القرية لمرات ثلاثة ، وكان فى كل مرة يكتشف أن هناك أجساداً طريحة لم يرها من قبل ، كان عدد القتلى كثيراً ، وأناس آخرون يئنون تحت لهيب الجراح ، حاول أن يتغلغل فى بطن ذاك الريف الصغير لكنه لم يجرؤ، ثم حاول ثانية أن يعود أدراجه إلى كوخه الصغير فى القرية المجاورة لكنه ضل الطريق ، أو هكذا جاءه الإحساس ، انتابته نوبة من الخوف وهبوط فى

القلب ، عض بنانه ، ومال هلوعـاً حينما تذكر المأساة ماثلة أمامـه ، أمسك بمدية عريضة ، ولاذ هارباً يشق طريقه وسط الأغصان الحادة كالزجاج والتى أصابـت ذراعيه العـاريين بخلجـات دامّيـة . غمره شـعور باليـأس من هذا الدغل الكثيف الذى بدى يزحف حوله كرعب كابوس قبيح .

(٢)

كان هناك أناس كثيرون وسرب كبير وجمهور غفير ينتظرون القطار فى مـحطة الانتظار والتى ظلت مـهملة مـن العناية لمدة طويلة ظهـرت وكأنهـا مهـجورة منذ أمـد بعيـد ، كان الظن السـائد أن القطار لن يأتى ، وأن الموت حليف الجميع ،وأن البنادق ستنالهم كما نالت أهل الأرياف .

رأى من بين هؤلاء إحـداهن تمسك صغـاراً . يدها من طراز نبيل ، لـها عينان بنيتان غامقتان دافئتان كالحرير .

قال لها : فى عينيك ضباب يومض بصفة متميزة ...

قالت له : هما كذلك ...

قال لها : أخاف لحاظك ...

قالت له : أنت فى أمان ...

قالت لها : لكنها تطلق سهاماً قاتلة ...

قالت له : أعاشقٌ ويخاف رمياً ...

قال لها : هجرت القرية خوفاً من الرمى ...

قالت له : لم أعهد الرجال بالجبن ...

قال لها : قيل لى من قبل أنت عبدٌ ذليل ...

قالت له : وبما أجبت ...

قال لها : خلونى وشأنى ...

قالت له : هل ترضى أن تكون عبداً ؟

قال لها : كلنا عبيد لله ...

قالت له : إذا عرضت نفسك للهوان ...

قال لها: هذان البرعمان ... الطفلان الصغيران ...

قالت له : كانوا ثلاثة ...

قال لها : والثالث ...

قالت له : ابتلعه الدغل ...

(٣)

كان النور خافتاً نتيجة التفاف العديد من الفراشات حول المصباح ، أشعل شمعة كانت فى جيبه وأخذ يطوف فى جوف القطار .

كانت الدنيا حارة ، لدرجة أن النهار كان يبدو ملفوفاً باللهب ...

وكان القطار الذى يسير بهم من النوع القديم ، يعمل بالبخار ، يسير ببطء حيناً وحيناً آخر يخبو مسرعاً ، لكنها سرعة غير عالية ، أجزاؤه المهترئة تشكو الصدأ الذى غلف الحيز الكبير من هيكله المعدنى ، وبدى العفن الفطرى متعلقاً بتلك الأطراف الصدئة .

وكان الناس فى داخل تلك القاطرات معظمهم واقفون غير مجموعة بسيطة وجدت بقايا مقاعد فجلست على كره ، ومجموعة أخرى انزوت على نفسها فى حلقات فى إحدى زوايا القاطرة .

نظر فيمن حوله فرأى وجوهاً يخيم عليها الظلام ، كانت الأعين تحملق

فيه وهو يمر عليها ، تحمل تساؤلات ، وكان القلق الشديد ظاهراً على تلك الوجوه الفارة ، لكنه كان يتقى أعين هؤلاء كان يفر منها ، يتظاهر أنه منشغل فى التأمل إلى الدغل الكثيف حيناً ، وحيناً آخر يرفع رأسه يتظاهر أنه يتأمل النجوم فى السماء المرفوعة يخيل إليه ساعتها أن النجوم كانت تتكدر ، يقل عددها ، تنطفئ واحدة تلو الأخرى هكذا كان الشعور يأتيه وهكذا ظل يحس أن الكون من حوله بدأ يضيق ، لكنه يقيناً كان يجد عدد الوجوه من حوله يقل عددها بين الحين والآخر ، كلما دخل القطار نفقاً أومغارة ، وكلما استوقف كرها ...

عساكر لهم شوارب غلاظ وأعين غائرة انسلوا فى داخل القطار .كانوا يقذفون الأطفال في الوديان السحيقة ... ويبقرون بطون الحوامل ... وتبصق بنادقهم نيران لهب على صدور الرجال ...

(٤)

عندما كان يقص القصة ، فإنه لم يكن ينظر فى عينى الطبيب فى المصحة النفسية وإنما كان ينظر إلى شريط الدخان المتعرج وهو يصعد فى الهواء .

كان يقول كل كائن له شخصية لكن العديد من الناس ليس لهم شخصية وأنا من بين هؤلاء .

وأن تكون فى حالة الدفاع ، دون أن تجد ما تدافع به ... لولا عناية الرب والقدر الذى قادنى إلى مكان لأختبئ فيه .

خاطبه الطبيب : وماذا حصل بعد ذلك .

الشاب : ساقتنى الأرجل إلى مكان فى مؤخرة القاطرة وجدت فيه ملاذا

حينما رأيت الأصوات تتعالى والمدافع تبصق

الطبيب : كم كان العدد ؟ ... مئات ؟

- أكثر ...

- ألوف ؟

- أكثر ...

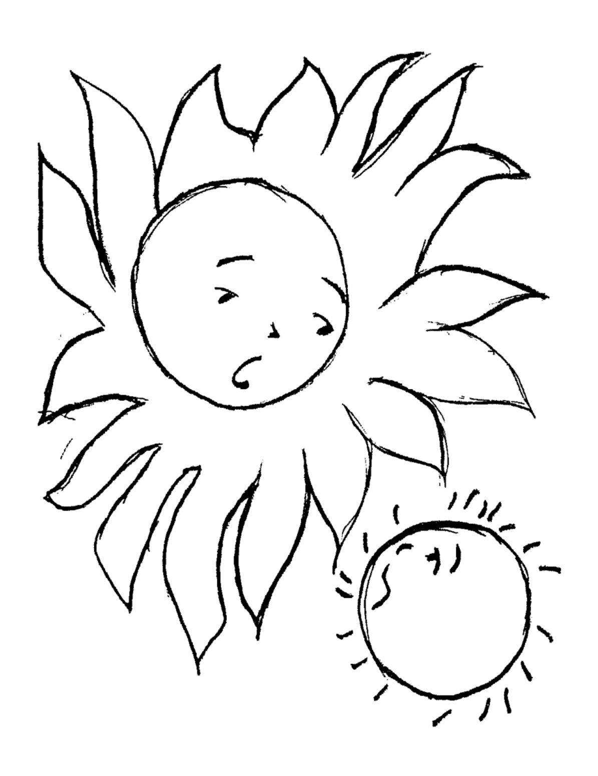
عشرات الألوف ... مئات الألوف ؟...

كان صوت الطبيب يصل إلى سمعه لكن صوتاً آخر تداخل مع صوت الطبيب ، احتل حيز أذنيه ...

تراءى له حينها أنه يهيم فى السماء يطير وحيداً فى طائرة ذات محرك واحد ، ويحدث عطل فى المحرك ...

أو كأنه فى قارب صغير وسط نهر متعرج تتخلله صخور حادة ، ولا طير فى السماء ، ويخيم عليه الظلام خلال ذلك كان الغشاء الداخلى ، فى أذنه يهتز لصوت الغناء الأبدى للأدغال .

٢٥/١٠/١٩٩٦ م
الدوحة



الخيال المحال

(١)

ربما يأتى غد أفضل ....

ربما تشرق شمس غير الشمس ....

ربما تبدل الأرض غير الأرض ....

لكنه كعـادته خرج يقطف ثماراً من سنابل يابسة لحقول ورثهـا من أبيه عن جده ، وقلب التراب الأجرد بمحراثه المتهالك الذى يئن من حدة التوجع تجره دابة تخالطت عظيماتها ...

عيناه ترنو جهة النهر الصغـير الذى قل ماؤه ، يبدو من ورائه كوخ طينى يشكوانهيار سقفه ، وتتغلغل الشـقوق فى جدرانه ، وتسمح هذه التشققات بالمرور لهواء ساخن مصحوب ببؤس السنين الشداد التى أكلن كثيراً وقدمنا قليلاً ، بدا متألماً للحظة التى عرف عندها دناءة الحياة التى يعيشها ..

وذرفت عيناه دموع تلك الأيام التى مضت من عمره الآيل إلى الفناء .

كم تطلب هذه الأرض ....

وكم جهد بذلت ....

كم احترقت ... كم اكتويت تحت لهيبها ...

كل شىء فيها قد مات ، وإن لم يدفن .....

(٢)

إن لعاب الرغبات الجارف حلق به بعيداً إلى حيث المفاجآت ومواطن

المسرات ومباهج الحياة ....

إنه فكر وقدر ....

فكر أن يهجر الأرض والتربة التى نبت فيها إلى الخليج العائم فوق كنز من ذهب وقدر أنه مؤهل ليقوم بدور يجعله يمتلك ثروة مجنونة طالما شقى لكى يجمعها ، إنها مجرد خاطرة أوحى بها تفكيره ....

بدأت تلك الرغبات تخالجه ليس مرة بل مرات عديدة ، تتبعها أطماع لا يستطيع ردها تغزو حيز تفكيره الضيق عندما ظن أن الفرصة مواتية ....

(٣)

ركب قطاراً يجر خلفه قاطرات جوفاء تكدس فيها آدميون ، رمى جسده المكتنز يغطيه جلباب به فتحات أربع يسبقه إليه كيس صغير .

"لقد جئت من أماكن بعيدة محفوفاً بأحلام كثيرة ، فلسوف أحقق سعادة بما ستملكه يمناى من دراهم قد لا تحصى ولا تقدر .

إن الأمر الوحيد الذى أمتلكه هو الحلم ، منذ صباى وأنا أحلم ... تسلقت الأشجار وأنا أحلم ... ترعرعت فى الغيطان وأنا أحلم تمرغت فى الترع وأنا أحلم ... نشأت صبياً ثم فتى ثم شاباً وأنا أحلم ... صارعت الصعاب وأنا أحلم ... لا أملك شيئاً فى دنياى سوى الحلم ... أراه صباح ومساء ، حتى غدت أحلامى أثمن شىء فى الوجود ...

أن أملك عقارات ... وأموالاً ... وأن أجلب الخير الكثير حينما أرى عينى زوجتى الراقصتين وهى تعد لى :

- عاوزين تلفزيون ... وبوتوجاز ... وثلاجة ... وخلاط ... وملابس

ملونة... وأساور ذهب ...

حينما فكر بالمجيء تصور أعمالاً كثيرة سيقوم بها ، وشواغر وظيفية ستعرض نفسها عليه ينتقى منها ما يشاء ، ولكنه مازال يتذكر الأسلوب القاسى الذى عاناه حينما وطئت قدماه أرض المطار .

لساعات طوال مكث بعيداً خلف خط طويل من طابور ممتد وحينما أودع فى سكن كرتونى قد تآكل نصفه وتصدع نصفه الآخر ، وضع وسط مجموعة من عمالة آسيوية لايفقه كثيراً مما يقولون غير تلك الكليمات المستعربة لكنها مكسورة تشوبها استفهامات كثيرة .

(٤)

طرد من عمله مرتين ... مرة لأنه طالب بزيادة الأجرة ، ومرة لأنه تفوه بألفاظ غليظة ... لكن مهنة النادل فى مطاعم الوجبات السريعة لم تكن فى البال ... وليدة الحاجة ... وتحت إلحاح الظرف القاسى قرر أن ينزل إلى الشارع وأن تلعب قدماه ، الدورة اليومية تبدأ حين تسحب الشمس خيوطها وتنتهى مع بدايات الفجر المكتحل بخيط أسود .

أيام حالكة قضاها بين هذه الأرصفة والشوارع فى التقاط السيارات التى يرتج لها الشارع ، يتصدى لها ، يحاول التقاطها ، أو الإمساك بها إن استطاع ، تنزلق عربات ... عربات أخرى تسير بتؤدة ، تنكشف منها أيادى مشعرة ... وعربات تأخذ لها مواقع حتى تقف تنكشف منها أنثى شتوية وأنثى صيفية ترتج حواسه وتهتز أعضاؤه ويحدث فيهاخلل ، يتخيل حينها زوجته فى أوضاع مختلفة يود لو يضمها ... لو يلثم ثغرها ، لكنه لا يحتوى سوى تلك الوريقات الشفافة التى تلف الشاطر والمشطور وما بينهما

ولا يحمل سوى تلك الكؤوس التى تحمل شراباً مختلفاً ألوانه .

تفر قدماه إلى سيارة أخرى يصيح بنشوة ولذة : كباب وكوفتة وهمبرجر.

(٥)

الشمس توشك أن تفيق من غيبوبتها ...

والمدينة تنذر السيارات الخامدة فى مواقفها بالخروج الفورى لتستعد لنهار نشط بالحركة ، حملق بعينين ثقيلتين خاملتين فى عين المدينة حاول أن يقرأ فيها شيئاً حاولت هى الأخرى أن تقرأ فى عينيه ..

وبعد لحظات من الذوبان المتبادل ، ودون أن تراه والشوق يعتصره غاب فى الزحام راكباً دراجته الهوائية مخلفاً وراءه نفايات ورقية على شكل كرات صغيرة أخذت تتدحرج على أرضية ملساء .

٢٠/ ٥/ ١٩٩٦ م
القاهرة «مصر»



فيالق حنين

(١)

صعب أن نلتقى ....

صعب أن نفترق ....

وصعب أن نعيش تحت سقف واحد فى بيت واحد وأسرة واحدة ....

وصعب أن أتخلى عنك ....

"آه من الفراق"قـالها وهو يتنهـد بعمق شـديد فأنا من قبـيلة ، وأنت من قبيلة بينهما خلافات قديمة ، ضاربة فى أعماق التاريخ ...

تاريخ كله ثأر ودم ...

وأيام كلها حروب ، وليالى نار وبارود .

"ولكن لا أستطيع أن أعيش دونك"قالتها وهى تميل برأسها الصغير جنباً واضعـة يدها الرقيـقة على خـد له بريق وردى ، والدموع المنهـمرة بسـخاء تتلألأ صانعة خيوطاً فضية بارعة اللون .

كانا يتابعـان حديثهما بقلق مـبهم ، وفيالق الحنين تجـتاح الاثنين وحيث تميل رياح الأهواء مالا ، فـوقعا مغـشياً عليـهما فى بحر الحب ، وحـدث ما حدث ، فـقامت مذعورة وهى ترتجف ، فـضمها إلى صـدره ، وهويخفف عنها .

كانا يجلسـان فى مواجهة القمـر الحانى ، فوق حصـير فى بيت من طين يقع البيت فى وادى من حوله جبال عالية .

(٢)

في الصباح كانا يمشيان في الأزقة الضيقة الملتوية ، قاصدين القرية الأخرى حيث تعيش الفتاة ، ومن أمامهما أناس ، ومن خلفهما أناس .

كان أبوه شيخاً في قبيلته ، وكان هو الولد المدلل ، "ابن الشيخ" ولده الوحيد . كل ما يملك في الحياة ... وأعز ما يملك ... في البيت لم تعد الأرض تحملها ... فرحتها تكاد تطير بها حين علمت خبر زيارتهم . هل بالإمكان أن تلتقي كل تلك الأحداث جميعها في يوم واحد من العمر ... إنه يوم مسجل بأحرف لاتمحى ....

استقبلا على عادات العرب بالحفاوة والترحيب وعلى قرقعة الفناجين والبيالات أديرت القهوة المغلية بالهيل والزعفران وكانت المداخن تنشر رائحة باسمة النسائم ، فتثير الأنفاس برائحة العود والبخور . كان الفتى يحلق بشجن متلهفاً تعتريه لهبة الحماس المتقدة في جوانبه ، متفرساً في تلك الوجوه الواجمة ، عليها تجاعيد الزمن وشوارب محفوفة ووجوه ناعمة مصقولة حلقت بأداة قاسية ، وعن يساره كان هناك رجل أشعث يحرك يده دون نظام يكش بها حشرة متطفلة دون مراعاة للجالسين ، وعندما جيء باللبن كان يشربه كبعير شره . وفي الجانب الآخر كان هناك بصيص نور يتراقص في فناء البيت الكبير ، كان يلمحه كلما سنحت له الفرصة ، كان كلما يراها تهب عليه نسمات هواء باردة ونفحات فيها عطر المشموم .

وصاح هأنذا يا فتاتي أحقق الحلم والوصول إلى مرافئك الصعبة ، أجعل البصر يتعلق بعتباتك المباركة وشرفاتك العالية .

هفهفت غشاءات قلبه ، بدا يسبح في زمن قديم أبهى وأجمل من هذا

الزمن . وتغمر الاثنين أمواج البهجة ... بدت على أثرها تقتصر خيوطها بخيوط الواقع . وعلى غيرما كان متوقعاً تنفجر موجات غضب عالية ، وكثير من النقاش يجد طريقه فى المجلس الكبير .

- البنت مخطوبة لابن عمها .

- لا يمكن أن يحدث هذا التواصل .

- أو ترفض نسب الأكرمين ...

- أنا ابن سلمى ولافخر ...

أعصاب مشحونة ونظرات من فوق الأكتاف ، يغطس فى سحابة أفكار، وكلمات مبعثرة من الفريقين ، حاول الفتى أن يتسول السعادة من أبيها ، لكن والده يسحبه من يديه .

يتسول إليه ثانية شخص فيه بعينين غاضبتين هذه المرة ، لم يقاوم قسمات وجهه ، فانسحب مع أبيه والنار تحتدم فى قلبه :

" آه من البلاء حين يداهم دون هوادة"

(٣)

فى المساء انتفضت وهى خائفة على غير عادتها ، وجدت نفسها خارجة من القرية إلى الشاطئ الفسيح ، ومكثت لوقت استغرق كثيراً وهى تنظر إلى البحر وهو يرسل أمواجاً هادئة ، والضوء فى الأفق ، وضوء ثانٍ كان يومض من خلف الجبال التى كانت تعانق البحر ، بخطوات لم تنقطع ركضت بجسدها الشفاف ، وهى تنزلق كما ينزلق الشعاع على صخرة ملساء ، ثم سارت جهة النار التى كان تشتعل فى الحطب . كان يتأملها وهو

فوق الجبل ، تحته واذ سحيق ، ويأتيه سحاب يحمله إلى فتاته ، ينطلق السحاب وهو على بساطه كملاك مقدس لابسا إزاراً أبيض واضعاً خنجراً فيه اعوجاج يد عابثة .

كانت تنظر إليه وهو فى السماء ، وتراه وهو يبتسم ويمد يديه ومن خلال دبيب النظرات تقول : "يا حبيبى ، أما آن لنا أن نعيش سوياً" . يا إلهى العلى القدير ، أستحلفك أن تجمعنى به وانتشر خبر السحاب الذى يجىء بالمطر فى القرية ، وتناولته الناس ، وسار حيث المجالس والدواوين .

(٤)

ذات مساء ، لم يأت السحاب فى الموعد ، وكأن حريقاً شب فى السحب ، ووجدت السماء مقفرة خالية ،وكان الطقس على غير عادته موحشاً لأقصى غاية ، كأنه هدوء يسبق عاصفة . كانت القرية تبحث عن الفتاة ، وكانت البيوت تشهد براجيلها* وليواناتها** وهى تشهق ليمتزج ذلك بشهيق الرجال والنساء الذين تركوا أعمالهم وانشغلوا بالبحث عن هذه الأميرة المفقودة ، وبعد بحث مضن وجدوها طريحة ، وهى تمتد بجسدها الناعم ، مستلقية برأسها على قبره ، كما لوكانا فى عناق يتبادلان حديث ألفة ومحبة فى يسر وعفوية .

٤/ ٣/ ١٩٩٦ م
«دبى» . الإمارات

---

* البراجيل : المناور .

** الليوان : ساحة البيت .

الفهرس

المؤلف فى سطور

- الاسم : ناصر أحمد الهلابى .
- العنوان : الدوحة - قطر . ص . ب : ١٠٠٦ .

البريد الالكترونى : . Nasqa @ Hot mail. com.

- مهندس مدنى من خريجى جامعة الإمارات العربية المتحدة دفعة ١٩٨٥ م .
- شارك فى العديد من المهرجانات الثقافية محلياً وخليجياً وعربياً .
- كاتب مقال أسبوعى فى جريدة الشرق القطرية بعنوان أقداح وأرواح .
- أصدر المجموعة القصصية الأولى تحت عنوان دهاليز .

تحت الطبع :

- سلسلة مقالات أدبية تحت عنوان : أقداح وأرواح .

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أماني فهمي
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيري عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
في لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد في ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـد	عبده خال
صعيدي صنع	د. عزة عزت
الشاعر والحرامي	عزت الحريري
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيري
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمي خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحي سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوي
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربيني
مشوار	ليلى الشربيني
الرجل	ليلى الشربيني
رجال عرفتهم	ليلى الشربيني
الحلم	ليلى الشربيني
النغم	ليلى الشربيني
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوي
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
الحاج	محمد عبد السلام العمري
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمري
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديري
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخوري

شعر ..

أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
قصائد حب من العراق	البياتى وآخرون
بدلا من الصمت	درويش الأسيوطى
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطى
تماماً إلى جوار جثة يونسكو	رشيد الغمرى
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبرى السيد
دنيا تناديـنا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر، النجوم، العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى
حواديت لفندى	عصام خميس
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادى
راتب الألفة	علوان مهدى الجيلانى
إضاءة فى خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدى رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
غربة الصبح	محمد الفارس
ونس	محمد الحسينى
ليالى العنقاء	محمد محسن
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد

مسرح ..

هذه الليلة الطويلة	د.أحمد صدقى الدجانى
اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبدالحافظ

دراسات ..

هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
قراءة المعانى فى بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
اللغة والشكل	أمجد ريان
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشى
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
البعد الغائب، نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رواد الأدب العربي فى السعودية	شعيب عبد الفتاح
البواكير فى القصة القصيرة	شوقى عبد الحميد
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
هيمنجواى حياته وأعماله الأدبية	د . غبريال وهبة
زمن الرواية، صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
أدب الطفل العربى بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديرى
الرواية العربية، رسوم وقراءات	نبيل سليمان

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.



.. ويصدأ ماء النهر

وسط النهر والماء العفن الصدئ ما زال فى النهر ، تفوح منه رائحة كريهة ، شدد الرجل من قبضته ، ومع هتافات الصبية ، كانوا فى عبثهم ، وأصوات القصف فى الخارج ، والعربة تخترق الشارع الطويل الضيق ، وزغدات طائشة فى كتفه تأتيه من الصبية تثير فيه شجوناً ، كان ذلك يشيع فيه أحاسيس لم يعهدها فى نفسه منذ زمن بعيد ، كان شعور قوى يضىء له فى ظلمة الليل علامات بيضاء يدفع شريطاً للقطات ظلَّت مهملة فى قيعان ذاكرته ..

